

ما فعلناه بمقاوماتنا المسلحة.. وما فعلته بنا!



الحركات لا تنتهك فقط (بشكل غير مباشر وربما بشكل غير مقصود) حياة الأفراد وحياتهم وخياراتهم وإنما هي حتى تصادر دور المجتمعات، بإحلالها ذاتها مكان المجتمع؛ وفي ذلك فإنها تشابه في واقعها هذا واقع السلطات العربية، إذ ترى فتح في ذاتها الشعب الفلسطيني، وحماس لا تقل في ذلك عنها، وهي ترى أن أي خيار لها هو خيار الفلسطينيين، في غزة أو في خارجها.

هذا ما فعلته حركتنا الوطنية.. يبقى السؤال لماذا وصلت الأمور إلى هنا؟ وكيف يمكن تدارك هذا الانحدار، في مجال السياسة والثقافة والسلوكيات؟ هذا باخذنا إلى حقيقة مفادها أن الأولوية ستبقى لإعادة بناء البيت الفلسطيني، من مدخل الانتخابات ما أمكن، ووفق رؤية تتأسس على مبدأ وحدانية الشعب والأرض والقضية والرواية التاريخية، فقط فيما بعد ذلك تأتي مسألة أشكال الكفاح الممكنة والمناسبة، بحسب كل ظرف ووضع.

أما حماس فلهي مصادرها الخاصة؛ أما في المجال المتعلق بالحريات وحياة الأفراد وقضاياهم وشؤونهم الحياتية الخاصة فتمكن ملاحظة أن حركات التحرر الوطني المسلحة لم تهتم إلى الدرجة المناسبة بهذه الأمور، التي اعتبرتها مجرد قضايا هامشية، أو ثانوية، يمكن أن تشغلها عن القضية الأساسية. في الغضون لنلاحظ مثلا أن الحركة الوطنية الفلسطينية، التي إبان وجودها كدولة داخل الدولة في لبنان (1975 - 1982)، لم تحاول، مع خلفائها، تحسين قوانين الأحوال المدنية للفلسطينيين، ولم تحاول إنشاء كيانات اقتصادية أو اجتماعية أو تعليمية لهم، كما لم تحاول إجراء انتخابات لعضوية المجلس الوطني، ولا حتى لأي لجنة محلية في مخيم.

هكذا فالصالحات المسلحة، هي الإرادة والرياسة، وهي الشعب والقضية، وهي المقرر والحكم، وهي مصدر الوطنية والقيمة على الوطن. هكذا فإن هذه

والعنفية لحركات التحرير المسلحة، حقيقة أن تلك الحركات تستهويها السلطة، لاسيما أنها تعتمد على الألوف من المقاتلين المترغين، ومن المتغيبين من موارد خارجية (على الأغلب)، ما يخفف من تبعيتها لمجتمعها. بل إن هذه الحركات، وبشكل أكثر تحديدا، تنشئ، أو يخيل لها أنها تنشئ، نوعا من مجتمع مواز، أو مجتمع بديل، تستعصم به، كما وتستقوي به، عن المجتمع الأصلي، الذي يدفع إلى الخلف، أو يزاح إلى الهامش؛ ما يفسر حال الغربية بين حال هذه الحركات وأحوال مجتمعاتها. وهنا ليس عبثا، مثلا، تصريح نصرالله بأن حربه ومن معه لا يتأثر بما يجري في لبنان، بقوله "موازنة حزب الله ومعاشاته ومصاريفه واكله وشربه وسلاحه وصواريخه من الجمهورية الإسلامية في إيران" (25 - 6 - 2016). وهو مشابه لما أعلنه مؤخرا أحد قادة حماس من أن المساعدات الدولية التي ستقدم للقطاع ستغطي أضرار الحرب الأهالي للقطاع،

والأخر من ذلك على علاقاتها الداخلية والبيئية، والعلاقة بينها وبين مجتمعتها. هكذا تغلبت البنية العسكرية الفلسطينية على البنية التنظيمية/الحزبية، وقد عزز من ذلك تحول الفصائل الفلسطينية إلى نوع من سلطة "كل حسب حجه"، تحت الاحتلال، في مكان وجودها، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة، ما أدى إلى توتر، أو إرباك، العلاقات الداخلية، لاسيما في ظل نظام سياسي فلسطيني يعتمد نظام المحاصصة، لا التمثيل والانتخاب، وفي واقع تتجادب فيه الفصائل الفلسطينية الدخالات الإقليمية والدولية.

والأخر من ذلك على علاقاتها الداخلية والبيئية، والعلاقة بينها وبين مجتمعتها. هكذا تغلبت البنية العسكرية الفلسطينية على البنية التنظيمية/الحزبية، وقد عزز من ذلك تحول الفصائل الفلسطينية إلى نوع من سلطة "كل حسب حجه"، تحت الاحتلال، في مكان وجودها، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة، ما أدى إلى توتر، أو إرباك، العلاقات الداخلية، لاسيما في ظل نظام سياسي فلسطيني يعتمد نظام المحاصصة، لا التمثيل والانتخاب، وفي واقع تتجادب فيه الفصائل الفلسطينية الدخالات الإقليمية والدولية.

والأخر من ذلك على علاقاتها الداخلية والبيئية، والعلاقة بينها وبين مجتمعتها. هكذا تغلبت البنية العسكرية الفلسطينية على البنية التنظيمية/الحزبية، وقد عزز من ذلك تحول الفصائل الفلسطينية إلى نوع من سلطة "كل حسب حجه"، تحت الاحتلال، في مكان وجودها، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة، ما أدى إلى توتر، أو إرباك، العلاقات الداخلية، لاسيما في ظل نظام سياسي فلسطيني يعتمد نظام المحاصصة، لا التمثيل والانتخاب، وفي واقع تتجادب فيه الفصائل الفلسطينية الدخالات الإقليمية والدولية.

والأخر من ذلك على علاقاتها الداخلية والبيئية، والعلاقة بينها وبين مجتمعتها. هكذا تغلبت البنية العسكرية الفلسطينية على البنية التنظيمية/الحزبية، وقد عزز من ذلك تحول الفصائل الفلسطينية إلى نوع من سلطة "كل حسب حجه"، تحت الاحتلال، في مكان وجودها، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة، ما أدى إلى توتر، أو إرباك، العلاقات الداخلية، لاسيما في ظل نظام سياسي فلسطيني يعتمد نظام المحاصصة، لا التمثيل والانتخاب، وفي واقع تتجادب فيه الفصائل الفلسطينية الدخالات الإقليمية والدولية.

والأخر من ذلك على علاقاتها الداخلية والبيئية، والعلاقة بينها وبين مجتمعتها. هكذا تغلبت البنية العسكرية الفلسطينية على البنية التنظيمية/الحزبية، وقد عزز من ذلك تحول الفصائل الفلسطينية إلى نوع من سلطة "كل حسب حجه"، تحت الاحتلال، في مكان وجودها، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة، ما أدى إلى توتر، أو إرباك، العلاقات الداخلية، لاسيما في ظل نظام سياسي فلسطيني يعتمد نظام المحاصصة، لا التمثيل والانتخاب، وفي واقع تتجادب فيه الفصائل الفلسطينية الدخالات الإقليمية والدولية.

والأخر من ذلك على علاقاتها الداخلية والبيئية، والعلاقة بينها وبين مجتمعتها. هكذا تغلبت البنية العسكرية الفلسطينية على البنية التنظيمية/الحزبية، وقد عزز من ذلك تحول الفصائل الفلسطينية إلى نوع من سلطة "كل حسب حجه"، تحت الاحتلال، في مكان وجودها، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة، ما أدى إلى توتر، أو إرباك، العلاقات الداخلية، لاسيما في ظل نظام سياسي فلسطيني يعتمد نظام المحاصصة، لا التمثيل والانتخاب، وفي واقع تتجادب فيه الفصائل الفلسطينية الدخالات الإقليمية والدولية.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرّات التحرير
مختار الدبائي
كرم نعمة
منى المحروقي
مدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة اليقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الاختراق الروسي والتراجع الفرنسي في أفريقيا

بالطبع كل ذلك لا ينبغي حثينا لروسيا من بعض الراي العام في مالي إحياء لقرنيت أيام إنهاء الاستعمار عندما اقتربت البلاد من الاتحاد السوفيتي السابق. الآن، بعد 60 عاما، نتجه الأعين مرة أخرى إلى الشرق، خاصة أن المعادين للوجود الفرنسي يجذبون احتدام نزاع جيوسياسي في الساحل واختراق روسيا له كما فعلت في أفريقيا الوسطى، لكن ذلك محل تشكيك من قبل أوساط محايدة لأن "اختيار روسيا والابتعاد عن الغرب يعتبر قفزة في الجهول".

سواء كان خياراً واقعيًا أم لا، فإن هذا العامل الروسي في مالي (بين الإغراء والجذب والرهان) أصبح موجوداً في المعادلة السياسية. وربما كان له صلة ببعض تصريحات ماكرون المتوجسة أو بمطالب فرنسا من الانقلابيين.

من أجل مواجهة التقدم الروسي وبعد المساعدة الروسية (عبر فاغنر) في الاستيلاء على السلطة في جمهورية أفريقيا الوسطى، قامت فرنسا بسحب جزء من طاقمها العسكري وجمّدت مسانعتها لموازنة أفريقيا الوسطى وعلقت التعاون العسكري الثنائي وسط اتهام حكومتها بـ"التواطؤ" مع "حملة مناهضة لفرنسا تقودها روسيا". رغم ذلك، لا ترى باريس ظاهرة مشابهة في الساحل. وفي هذا المجال قال أحد المسؤولين الفرنسيين أنه لا يوجد "حتى الآن حرق كبير" لروسيا في منطقة الساحل، ولكن تسود الشكوك في "الكي بورسية" (مقر وزارة الخارجية الفرنسية) عن تشجيع أو تزعم روسيا حملة مناهضة لفرنسا في منطقة الساحل من دون تقديم أدلة على ذلك؛ في الخلاصة، يدعم الحضور العسكري والامني الروسي في أفريقيا حزمة من المصالح يتشاكب فيها الاقتصاد بتوسيع النفوذ الجيوسياسي. ورغم نجاح روسيا في السنوات الأخيرة في إحداث اختراقات مهمة في القارة فإن المقارنة بمنافستها توجب عدم تضخيم هذا الاختراق ووضعه في سياق تصاعدي يهدف إلى تمدد خارطة النفوذ والمصالح، وليس على حساب فرنسا حصرًا بل على حساب بعض الشركاء وأولهم الصين.

والفرنسيين)، مما يخفي حسب بعض الأوساط قرارا لإحداث تغييرات حاسمة ضد النفوذ الفرنسي.

وفي سياق التنافس الاستراتيجي -الاقتصادي يتوافق خيرة الشان الأفريقي في بروكسيل على وجود "مرتزة فاغنر في العديد من الدول الأفريقية ومنها ليبيا وانغولا وغينيا وموزمبيق وجنوب أفريقيا والتونجو" ويلفت هؤلاء النظر إلى توقيع موسكو اتفاقيات تعاون مع حوالي عشرين دولة في القارة. وكما تعتمد روسيا "الحرب الهيمنة" من سوريا إلى ليبيا لتدعيم عملياتها العسكرية وما تسميه "الاستقرار الاستراتيجي مع بعدة الاقتصاد"، تتم في أفريقيا الاستعانة بهذا المبدأ مع نشر قوات شبه عسكرية تحت غطاء شركات أمنية من أجل تدريب الجيوش المحلية وحماية الشخصيات أو حماية مناجم الذهب أو الفضة أو اليورانيوم، ويسهل ذلك توقيع عقود استغلال الموارد الطبيعية. عبر هذه الأساليب نجحت روسيا في تحجيم الوجود الفرنسي في بانغي. ومن الاختراقات الروسية الأخرى هناك "إشاعات" عن قيام فاغنر بدعم المتطرفين المتشاكبين في مواجهة الجيش المتشاكب (خلال المعارك سقط الرئيس السابق إريس ديبي صديق الأميركيين

في مناجم الألماس والذهب وغيرها من المعادن في أفريقيا، تماما كما فرنسا التي تعتمد كثيرا على اليورانيوم الاتي خصوصا من النيجر.

وفي سياق التنافس الاستراتيجي -الاقتصادي يتوافق خيرة الشان الأفريقي في بروكسيل على وجود "مرتزة فاغنر في العديد من الدول الأفريقية ومنها ليبيا وانغولا وغينيا وموزمبيق وجنوب أفريقيا والتونجو" ويلفت هؤلاء النظر إلى توقيع موسكو اتفاقيات تعاون مع حوالي عشرين دولة في القارة. وكما تعتمد روسيا "الحرب الهيمنة" من سوريا إلى ليبيا لتدعيم عملياتها العسكرية وما تسميه "الاستقرار الاستراتيجي مع بعدة الاقتصاد"، تتم في أفريقيا الاستعانة بهذا المبدأ مع نشر قوات شبه عسكرية تحت غطاء شركات أمنية من أجل تدريب الجيوش المحلية وحماية الشخصيات أو حماية مناجم الذهب أو الفضة أو اليورانيوم، ويسهل ذلك توقيع عقود استغلال الموارد الطبيعية. عبر هذه الأساليب نجحت روسيا في تحجيم الوجود الفرنسي في بانغي. ومن الاختراقات الروسية الأخرى هناك "إشاعات" عن قيام فاغنر بدعم المتطرفين المتشاكبين في مواجهة الجيش المتشاكب (خلال المعارك سقط الرئيس السابق إريس ديبي صديق الأميركيين

حصنة من مواردها أو على نصيب من استثماراتها. وإذا كان هناك تنوع كبير بين القوى المتنازعة، إلا أن الخشية الفرنسية كانت تتعلق بالدور الصيني أساسا وكذلك بابوار القوى الصاعدة (تركيا وإسرائيل وغيرها) فإذا بالدور الروسي الصاعد يجذب الأضواء، وفي المقابل تزداد المشاعر المعادية للفرنسيين والصورة السلبية للأميركيين في القرن الأفريقي وأماكن أخرى.

هكذا يتعرض نفوذ الدول القوية التي لها مصالح اقتصادية واستراتيجية في أفريقيا للخطر من قبل ضيف روسي مفاجئ وعائد بقوة. اعتمد الكرملين في أفريقيا على جمهورية أفريقيا الوسطى كيوابة للاختراق وتعميم النفوذ، حيث يمكن القول إن موسكو نجحت بأضعاف فرنسا باعتبارها القوة الأجنبية المهيمنة تاريخيا. وفي غضون سنوات قليلة أصبحت هذه البلاد نموذجا للتصدير من حيث إعطاء المثل في السيطرة الأمنية من دون التنبه للمفاهيم الغربية حول حقوق الإنسان، وتوافق هذا الإنجاز مع انتزاع مميزات الدور الفرنسي في مجالات تدريب الجيش والحرس الرئاسي وأمن المؤسسات ومناجم الذهب والفضة مقابل حصة من الدخل والمنافع الاقتصادية علما أن الشركات الروسية مهتمة جدا وناشطة

لكن الأكثر لفتا للانتباه إن قادة، أو "بوابات" المقاومة المسلحة، عند الفلسطينيين، ظلوا يعلون من شانها، حتى بعد اختفاء قواعدهم العسكرية (في الخارج)، إثر الغزو الإسرائيلي للبنان (1982)، لكان الكلام عن المقاومة المسلحة يعوض عن وجودها الفعلي عند العديد من الفصائل، لاسيما التي لا تمتلك وجودا عسكريا لا في الداخل ولا في الخارج، أو كان بعض الفصائل، في الداخل، يمكن أن تجمع بين كونها سلطة وحركة تحرر وطني.

مشكلة الحركة الوطنية الفلسطينية، أيضا، أن الظاهرة المسلحة، العفوية والمزاجية، لم تطف على شعاراتها فقط، إذ هي طغت، أيضا، على بناها وثقافتها،

د. خطر أبوذياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للدراسات والبحوث -باريس

دلت التطورات الأخيرة في أكثر من بلد أفريقي على احتدام الصراعات بين القوى المتنافسة استراتيجيا واقتصاديا. وفي هذه الحقبة كان من اللافت التراجع الفرنسي في أكثر من موقع، وفي المقابل تأكيد الاختراق الروسي في مسعى استرجاع النفوذ من قبل قوة عائدة. يتم ذلك وسط تهاوت دولي مع تعزيز الوجود الصيني وتأكل وجود القوى الاستعمارية السابقة. ومن الواضح أن المناطق الرخوة والرمادية في القارة السمراء مرشحة للزيم من النزاعات وستكون الخصومة الروسية - الفرنسية من عناوينها.

بينما أعلنت فرنسا قرار إنهاء عملية "برخان" في منطقة الساحل، وسجلت تراجعا في غرب أفريقيا معقل النفوذ الفرنسي التاريخي، شهدت باماكو عاصمة مالي مظاهرات تطالب بالتدخل الروسي على منوال ما حصل في جمهورية أفريقيا الوسطى، وكذلك شهدت أديس أبابا عاصمة إثيوبيا مظاهرات رفعت فيها الأعلام الروسية وكانت تستنكر الإدانات الأمريكية للملف في إقليم تيغراي. ويدل ذلك على أنه في سياق الصراعات بين القوى المتنافسة تبرز المفارقة بين التراجع الفرنسي والاختراق الروسي مما يبنى باحتدام الصراع بين القوى الاستعمارية القديمة، والقوى المدافعة عن مصالحها والقوى الصاعدة. وحسب الوقائع الميدانية وتقارير موثوقة، أصبحت منطقة غرب أفريقيا معقلا جديدا للإرهاب ونقطة تركز إعادة ترتيب صفوف تنظيمي داعش والقاعدة. وكل ذلك يزيد من صعوبة توقع مآلات هذه الحقبة من صراع الأبريين على أراضى قارة المستقبل وخيراتها. بالفعل، تعد أفريقيا قارة واحدة نظرا لتنوع مواردها الطبيعية وغناها واحتياطياتها الضخمة من المعادن وقوماتها البشرية الشابة. ولذلك يزداد الاهتمام بها للحصول على

